**سابعا- السرد الإخباري**

تدور معظم مشتقات الخبر حول العلم بالشيء، ومنه الإخبار هو الإعلام أو الإنباء أو توصيل الحديث، والأخبار عموما هي أحداث الماضين وأفعالهم وأحوالهم وما طرأ على أوضاعهم وحياتهم مما يتناقله الرواة ويتحدث به اللاحقون من السابقين أو شاهدو الخبر وسامعوه، وفي موضوعنا هذا "معلومة تاريخية أو أدبية أو شخصية أو غيرها"، ومن ثمة فهي المادة الأساس للرواية العربية في الفترات التي نشطت فيها، والأخبار المتواترة سبيل كما يقول الجاحظ للعلم بما قد غاب عن الإنسان مما رآه غيره ويدرك بالعيان، وهي في متناول كل الناس بالسماع والرواية قديما وبالقراءة والإطلاع حديثا لمن تيسر له ذلك "يحملها الولي والعدو والصالح والطالح وهي مستفيضة في الناس، لا كلفة على سامعها من العلم بتصديقها"، أي أن سامعها غير ملزم بتصديقها، بل إن موقفه منها متروك لتقديره ولظروفه وهذا وجه يستوي فيه العالم والجاهل.

والشغف بالأخبار والافتنان بها يعود إلى حلاوتها، إضافة إلى عسر الكتمان على الإنسان وضيقه بالأسرار، والخبر أحد مصادر المعرفة، لذا جعل ابن خلدون الأخبار مما ينبغي أن تتضمنه كتب الأدب التي هي جمع من كلام العرب مما عساه تحصل به الملكة.

من السرود العربية المعروفة" السرد الإخباري" في تراثنا، والأخبار دائما تحتوي على ذكر النوادر أو الطرائف أو الأحاديث تناولها بعضهم في مناسبة ما ثم وعتها الذاكرة وعبَّرت عنها عبر وسيط أو راوٍ أو محدِّث، أو أحد الإخباريين الذين يتحرون الدقة في النقل والتدوين.

والخبر فن قصصي قصير يغلب عليه قول الحقيقة ويشير إلى سرد شيء من التاريخ، وما لبث أن داخلته المعلومات المزيفة أو المختلقة أو الخيالية ومن أمثلة الخبر التي تقارب مفهوم الجنس الأدبي القصصي، كتاب "المكافأة" لأحمد يوسف المصري **(ت951م)** ويرى كثير من النقاد أن الخبر كفن قصصي يشير إلى أكثر نزوعات التجديد القصصي، كما تعرف اليوم في الأقاصيص الانطباعية.

**1- تعريف الخبر لغة:**

ومن يطالع مادة "خبر" في معاجم اللغة العربية.([[1]](#footnote-2)) فسوف يجد خبر خُبرْتُ بالأمر؛ أي: علمته.وخَبَرْتُ الأمَر أُخُبرُهُ، إذا عرفته على حقيقته، وقوله تعالى: «فاسأل به خبيرا» أي اسأل عنه خَبِيرًا يُخْبِرُ والخَبَرُ بالتحريك: واحد الأخْبار. والخَبَرُ ما أتاك من نبأ عمن تَسْتَخْبِرُ، ابن سيده، الخَبَرُ: الَّنَبأُ والجمع: أْخبَارٌ، وأخابِير جمعه الجمع.

واْستَخْبَره، سأله عن الخَبَرِ وطلب أن يُخْبِرهُ، ويقال: تَخَبَّرْتُ الَخَبَرَ واسْتَخْبَرتهُ، ومثله تَضَعّفْتُ الرجل واسْتضَعفْتّه، وتخبَّرتُ الجواب، واسْتًخْبَرتُه. والاسْتَخْبَارُ والتَّخَبُّرُ: السؤال عن الخَبَر.

* والخبر في اللغة هو:«ما يُنقل أو يُحدَّث به قولا أو كتابة».([[2]](#footnote-3))

هو:«معلومة تُنقل ويُحدَّث بها».([[3]](#footnote-4))

**2- تعريف الخبر اصطلاحا:**

والإخبار-كإنباء-يرمي إلى معرفة الحقيقة، وفيها معنى القصِّ؛

* توجد عدة كلمات دَّالة عليه منها:«أخبرني، أنبأني، بلغني، حدثني» وهي توحي بوجود وسيط(السند)- الذي هو آلية سردية، يحرص المؤلف على توافرها في النص استجابة لنزوع ثقافي عربي يؤثر الصدق والواقعية، فالخبر لايعرف به إلا إذا كان الذي يبلغه معروفا بالصدق والعدالة، بل إن الخبر الذي تتوافر فيه الشروط المطلوبة هو الخبر الذي يبلغه عدة رواة لا يتعارفون وبالتالي لم يتفقوا على إذاعة خبر كاذب، فهاجس الإسناد والأساس هو الإقناع بصدق الكلام وحقيقة الحدث»([[4]](#footnote-5))

إذن، من خواص الخبر تأكيده على نقل الواقعية الإخبارية نقلاً متتابعا دون إجراء أية انحرافات تخلخل بنية متنها فالرهان هنا ليس على المراوغة ومحاولة الإخفاء والإرجاء والتشويق، بل في النقل الأمين والتمثل الواقعي.

* قديما قيل: إن المؤرخين إخباريون لاعتماد التاريخ على الأخبار المروية من جيل إلى جيل، والاهتمام بتحري الدقة في النقل والحفظ والتدوين.
* وبطبيعة الحال يتحرى المُخبر الصدق والدقة، أو يتخيل، فلا يمكن أن يكون كل الأخبار الأدبية الواردة في نصوصها القديمة صادقة تمام الصدق، بل دخلها كثير من الخيال، والتأويل، والتفسير المعتمد على الخيال لا الحقيقة.

فتجد في كتب التراث العربي بكل مجالاته، عبارات مثل«...أخبرنا فلان بن فلان، عن فلان بن فلان أنه» وهذا لأهمية الخبر في الاستشهاد والتبرير.

وتتضح أهمية السرد في كتب الأخبار من مضمونه القائم : «على حادثة طريفة أو نادرة تدل دلالة واضحة على خلق ثابت، فهو قصة شديدة البساطة وأنما يظهر فن الكاتب فيما يسوقه من حوار، فهو لا يضحي بالنبرة الطبيعية للكلام في سبيل فصاحة اللغة، وهو يجعل حديث المتكلم دالا على شخصيته، حتى لتكاد لا ترسم منه صورة كاملة»([[5]](#footnote-6))

وقد كثرت الأخبار في كتب القدامى والمتأخرين، وهي تعبر عن مواقف وقصص، يحكيها الكاتب في معرض الحديث، وأحيانا يستشهد بها، أو يدلل على شيء يريده.

**3- أنواع الخبر:**

والأخبار في النصوص التراثية نوعان:

**3-1 أخبار بسيطة**، وهي في غالبها تتحمل حدثا بسيطا، يتردد فيها قول... مثل تفسير معنى كلمة/ ذكر بيت شعري.

**3-2 أخبار مركبة**، وهي التي تحتوي على السرد الحكاية عن أشخاص كانت لهم أفعال أو أحداث، ونُقِل عنهم حوار معين، أو وصف معين.

**4- وللخبر بنية معروفة:** فنبدأ الخبر بذكر المخبر أو الناقل (السند) كأن يقال "أخبرني/ أخبرنا فلان بن فلان، عن فلان، قال..."ثم يأتي مضمون الخبر أو المتن وأحيانا يأتي(اسم المُخبر) ويتلوه من سمع منه أو نقل عنه، كأن يقال: أخبرني/ أخبرنا فلان بن فلان، عن فلان، قال:... ثم يأتي مضمون الخبر أو المتن.

وهنا دليل صريح على أن الأخبار عدت كلمة تضم في أحشائها([[6]](#footnote-7))ضروبا كثيرة من السرد.

**قال تعالى**: **«وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ لأعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ** (21) **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** (22) **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** »([[7]](#footnote-8))

فالخبر من خلال الآية يعني النبأ، أي العلم بالشيء والإحاطة به ونقله كتابة أو مشافهة، فالعلم بالشيء الخبر هو معرفة وفي الآية هنا الخبر يتسم بالغرابة«إني وجدت امرأة....» كما يتسم الخبر في التراث العربي النثري بالهزل، كما نقرأه في نوادر وبخلاء الجاحظ وعند القاضي التنوخي وحين يتسم الخبر بالهزل، ويتكرر كسمة في الأخبار تتحول هذه السمة إلى مكون ويتحول الخبر مع هذا المكون إلى نادرة كجنس أدبي، يقول الناقد سعيد يقطين «إذا كان الخبر أصغر وحدة حكائية فإن الحكاية تراكم لمجموعة من الأخبار المتصلة»([[8]](#footnote-9))، وهذا ما نكتشفه في حوار سليمان عليه السلام مع الهدهد وفي سرد الهدهد للخبر، كمكون حكائي يجمع بين بلاغة الحجاج وبلاغة السرد.

هناك تصنيف الأستاذ فرج بن رمضان يمكن أن نطلق عليه "التصنيف التاريخي الإيديلوجي.

وينطلق هذا التصنيف من درس فنون القص اعتمادا على صلتها بما يسميه الباحث ب" منظومة الأشكال المؤسسة" ويرى أن هذه الصلة قد تجلّت في حركتين:

1. حركة أولى تتنزل خارج منظومة الأشكال المؤسسة، وهذه الحركة هي المسؤولة على ظهور ألوان قصصية متنوعة مما يدخل في باب القصص الشعبي.(قصص بطولي، قصص ديني، قصص غرامي) وفي هذا المستوى أيضا تتنزل المدونة القصصية الفصيحة التي تحفل بها من أنواع التأليف التي لا تدخل تحت طائلة التصنيف الأدبي الرسمي ككتب الأخبار والنوادر.
2. حركة ثانية تقع داخل منظومة الأشكال المؤسسة في دائرة التفكير النقدي إن هذه الحركة قد جعلت القصص يتسلل عبر مسالك التصنيف الرسمي وينتزع مشروعية حضوره من داخل البنية الرسمية، ويرى ابن رمضان أن هذا التسلسل ظهر في أنشطة متنوعة منها تلك الأخبار والقصص التي صاحبت حركة جمع الشعر وتدوينه وشرحه. ومنها ظهور ضرب من التأليف الأدبي يندرج في سياق النظرة الموسوعية، ومنها تطور الرسالة الأدبية التي غدت فنا حاويا لمختلف أشكال التعبير الأدبي.

إذا حاولنا رصد الأخبار القصصية التي كانت متداولة في القرون الهجرية الأربعة الأولى فأدب الأخبار الذي تحفل به كتب الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن عبد ربه، والقالي الأصفهاني ومن جرى مجراهم، مستمد من روايات شعبية كانت دائرة على الألسن حتى قيض لها رواة محترفون استغلوها وحذفوا منها وأضافوا إليها ولكن عملهم كان متوقفا على الرواية الشفوية أما تلامذتهم فقد أخذو على عاتقهم تثبيت تلك الروايات بالكتابة.

* يقدم ابن قتيبة في "عيون الأخبار" مبيّنا مقصده منها وطريقته في تصنيفها والمصادر التي استمدَّها منها فيقول: «هذه عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصره ولأهل العلم تذكرة ولسائس الناس ومسوسهم مؤدبًا وللملوك مستراحًا من كدِّ الجدِّ والتعب وصنفتها أبوابا وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها وعلى الناشر طلبها. وهي لقاح عقول العلماء ونتاج أفكار الحكماء وزبدة المخض وحلية الأدب وأثمار طول النظر والمتخير من كلام البلغاء وفطن الشعراء وسير الملوك وآثار السلف، جمعت لك ما جمعت في هذا الكتاب...." ([[9]](#footnote-10))

إن تصريح المؤلفين بقيام كتبهم على الجمع والأخبار قد غدا بمنزله الّسنة التي يذكَّر بها، إنماءً للكتاب إلى ضرب من التأليف المخصوص.

علينا إذن ألاّ نتعجل القول في دور المؤلّف أو لا نجزم بأنه ناقل صرف أو مبدع بحت، فالجانبان موجودان وإن كان أولها أظهر، إذا أنّه أصبح بمثابة التقليد والسّنة التي يقوم عليها أدب الأخبار.

وإبداعه يتمثل في إعادة إنتاج الخبر، فالخبر الواحد يوجد في كتب متعددة ويرد في صيغ بينهما اختلاف كبير ويسير، ومعنى هذا أن فيه نواة تمثل الصيغة الأصلية الأولى، وفيه زيادات لحقت بتلك النواة أو عناصر حذفت منها يتناقل الرواة والمؤلفين الخبر. ([[10]](#footnote-11))

1. () ابن منظور، لسان العرب مادة، خبر [↑](#footnote-ref-2)
2. () المصدر نفسه. [↑](#footnote-ref-3)
3. () المصدر نفسه. [↑](#footnote-ref-4)
4. () محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص83. [↑](#footnote-ref-5)
5. () محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي، ص90. [↑](#footnote-ref-6)
6. () سعيد يقطين، الكلام والخير (مقدمة سرد العربي) ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1997، ص 191 [↑](#footnote-ref-7)
7. ()  سورة النمل: الآية (21-22). [↑](#footnote-ref-8)
8. () سعيد يقطين، الكلام والخير(مقدمة سرد العربي)، ص 191 [↑](#footnote-ref-9)
9. () ابن قتيبة، عيون الأخبار، المقدمة، ص، ص ي ك. [↑](#footnote-ref-10)
10. () ينظر سعيد جبار، الخبر في السرد (الثوابت والمتغيرات)، ط1، شركة المدارس، نشر وتوزيع، المغرب، 2004، ص205. [↑](#footnote-ref-11)